

الأستاذ الدكتور أكرم العنبري

من رواد طب وجراحة العيون في سورية والعالم العربي
(1925 - 2015)

يعد الأستاذ الدكتور أكرم العنبري قامة علمية وإنسانية استثنائية، وواحدًا من أبرز الرواد الذين وضعوا الحجر الأساس لاختصاص طب وجراحة العين الحديث في سورية خلال النصف الثاني من القرن العشرين. فقد مثلت مسيرته نموذجاً فريداً في التلاحم بين التميز الأكاديمي، وبناء المؤسسات، والالتزام الأخلاقي والنقابي الصارم، والخدمة المجتمعية والعمل الخيري النقي المستدام. ولم يكن الطب في منظوره مجرد مهنة بل رسالة إنسانية سامية قوامها نشر العلم، وتوطين المعرفة، وحفظ كرامة الإنسان؛ تاركاً وراءه إرثاً حياً يسترشد به تلامذته وأجيال الأطباء الذين نهلوا من معينه.

التعليم الأكاديمي وبناء أجيال الأطباء

آمن البروفيسور العنبري بأن نهضة الطب تبدأ من قاعات الدرس وميادين التدريب، وأن صناعة الطبيب لا تقتصر على تلقين المعرفة العلمية، بل تمتد إلى غرس قيم المسؤولية والنزاهة والأخلاق الطبية. ومن هذا المنطلق، كرّس عقوداً من حياته للتعليم الأكاديمي في كلية الطب بجامعة دمشق منذ عام 1965 وحتى تقاعده، مضطجاً مهمة تاريخية في رفد البلاد بالأطباء الاختصاصيين، ولا سيما خلال السبعينيات والثمانينيات وما بعدها، وهي الفترة التي شهدت فيها سوريا حاجة ماسة إلى تقليص النقص الحاد في الكوادر المؤهلة وتلبية احتياجات المجتمع المتزايدة وخصوصاً في المناطق النائية. ولم يفرّق في رسالته التعليمية بين أركان المنظومة الطبية؛ فأشرف بصبر وعناية على تطوير مهارات فريقه من الأخصائيين وعلى تدريب أطباء مقيمي الدراسات العليا، بالتوازي مع تدريسه مادة طب العيون في كلية الطب وفي مدرسة التمريض، إيماناً منه بأن الرعاية المتكاملة للمريض هي نتاج جهد جماعي متناغم. وقد امتد هذا العطاء المعرفي خارج حدود الجامعة من خلال حركة التأليف والترجمة، حيث رفد المكتبة الطبية العربية بسبعة كتب ومراجع تخصصية حديثة ومفصلة، ووضعت لخدمة طلاب الطب والتمريض، وسدت فراغاً علمياً هائلاً في وقت كانت تفتقر فيه الساحة الطبية إلى المراجع المتخصصة باللغة العربية. ويأتي في مقدمتها كتابه الشهير «ملخص أمراض العين» الذي غدا مرجعاً أكاديمياً ثابتاً ودليلاً تعليمياً للأطباء المقيمين والأخصائيين لسنوات طويلة.

التطوير المؤسسي وتوطين الجراحة المجهرية

ارتبط اسم الدكتور العنبري بمحطات مفصلية من تاريخ تحديث البنية الطبية التحتية في سورية، مدفوعاً برؤية استشرافية تؤمن بأن ممارسة الطب الحديث لا تستقيم إلا بامتلاك بيئة تعليمية متطورة وتجهيزات تواكب العصر. وتجلت هذه الرؤية في مطلع ثمانينيات القرن الماضي عندما بادر إلى طرح فكرة إنشاء مدرج قسم العينية في مشفى المواساة الجامعي، وقاد جهوداً حثيثة ومخلصة لجمع التبرعات اللازمة لإنجاز هذا المشروع الواعد، مكملاً إياه بمساهمة سخية وممتدة من ماله الخاص حيث أشرف شخصياً على مراحل إكسائه، تأثيثه، وتزويده بأحدث الوسائل والتقنيات التعليمية المتاحة ليكون مناراً لتدريب الأطباء الذين إليه توافدوا من كل أنحاء القطر.

وامتدت جهوده الريادية لتشمل إدخال أحدث الأجهزة التشخيصية والعلاجية إلى مستشفى جامعة دمشق، وتدريب فريق من الاخصائيين على استخدامها، حرصاً منه على أن تظل هذه التقنيات في خدمة

مرضى القطاع العام مجاناً، وقبل أن تصبح متاحة في العيادات والمراكز الخاصة بسنوات عديدة. كما كان له الفضل الأول في نقل وتوطين علوم الجراحة المجهرية للعين ونشر مهاراتها بين الأطباء، مما أحدث قفزة نوعية في الممارسة الجراحية في البلاد. وتتويجاً لهذا العمل المؤسسي، قام عام 1965 بتأسيس الجمعية السورية لأطباء العين كإطار رسمي يهدف إلى دعم التعليم الطبي المستمر، وتأطير العلاقات العلمية والمهنية بين الاختصاصيين.

الرسالة الإنسانية والإلتزام الإجتماعي والدولي

كان البعد الإنساني العطوف هو المحرك الأساسي في شخصية الدكتور العنبري؛ فقد تميز بقربه الشديد من مرضاه، وعنايته الفائقة بالفئات الأكثر حاجة، مجسداً بممارسته قيم نصره المظلوم ومداواة المحتاج بفيض من اللطف والرحمة. ولم تقتصر رعايته على المرضى، بل شملت الأطباء الشباب، ففتح أمامهم آفاق التطور، ووظف علاقاته الدولية ومكانته الأكاديمية الرفيعة لتمهيد سبل البحث والتدريب في الخارج، إيماناً منه بأن استمرار تميز الطب السوري رهن بتمكين جيل المستقبل وصقل خبراته. وعلى الساحة الدولية، مثل وطنه خير تمثيل بعد أن نال شهادة زمالة الكلية الملكية البريطانية لأطباء العيون في لندن. وفي عام 1992، قاد قفزة تاريخية بتنظيم مؤتمر عالمي ضخم في قصر المؤتمرات في دمشق، استضاف فيه نخبة من كبار أطباء العيون من الولايات المتحدة الأمريكية والعالم، بحضور أكثر من ألف وخمسمائة طبيب، فرفع اسم سورية عالمياً. أما محلياً، فكان درعاً حامياً للمهنة ومدافعاً صلباً عن حقوق زملائه، حيث عُرف بمواقفه الشجاعة في حماية أطباء العيون من القرارات الجائرة، وكان من أبرزها إيقاف مشروع فرض خدمة دولة الإلزامية على الأطباء.

إرث مستدام ورسالة متجددة

ترجل الأستاذ الدكتور أكرم العنبري عن صهوة الحياة عام 2015 بعد مسيرة حافلة ومضيئة ناهزت نصف قرن من البذل الأكاديمي والخيري والنقابي. وقد نعتته ببالغ الأسى كبرى المؤسسات الأكاديمية والطبية في البلاد، وفي مقدمتها وزارة التعليم العالي وجامعة دمشق ونقابة الأطباء والجمعية السورية لأطباء العيون، إلى جانب المؤسسات الدولية ومنها الكلية الملكية البريطانية في لندن التي نعتته رسمياً تقديراً لخدماته الجليلة العابرة للحدود.

اليوم، وتجسيدا لقيم الوفاء، تداعت مجموعة من تلامذته الذين شُرفوا بالتدرب على يديه وقدموا خدمات أكاديمية وعلمية وخيرية في سورية، لتأسيس جمعية خيرية تحمل اسمه وتُعنى بالشأن العلمي والخيري والأكاديمي؛ غايتها أن تكون إطاراً مؤسسياً ليظل هذا المنهج الأصيل، والأثر الطيب، والعطاء المخلص مستمراً في خدمة المجتمع وتطوير مسيرة الطب والأجيال القادمة.